Al- Khawarij Alsafriah and The assets of Their origin in the perspective of Shahristani (D: 548 A.H)

الخوارج الصفرية وأصل نشأتهم في منظور الشهرستاني (ت:548هـ)

م. د حيدر عامر هاشم السلطاني
رئاسة جامعة القاسم الخضراء/ قسم شؤون الطلبة والتسجيل

أ.د. عمار محمد يونس
جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

ملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد أبن عبد الله وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، أما بعد فقد انصب بحثنا هذا على تناول فرقة الصفرية، وكان أكثر تركيزنا على جانب النشأة والجذور لهذه الفرقة منطلقين من كتاب الملل والنحل للشهرستاني وتعد فرقة الصفرية من فرق الخوارج الكبيرة التي ظهرت للعلن في حكم دولة بني أمية في المشرق وحاولنا أن نبين اصل نشأة هذه الفرقة وجذورها ثم ظهورها للعلن وكذلك مؤسسيها وشخوصها وكل ما له صلة بنشأتها وظهورها.

وفرقة الصفرية ظهرت تأريخياً في العصر الأموي بعد ان انشق مؤسسها زياد بن الأصفر من فرقة الخوارج، واصبح له ثم لاتباعه قناعات خاصة بنوا عليها فكرهم القائم على تكفير كل من يخالفهم الراي، وسميت هذه الفرقة بالصفرية والزيادية نسبة إلى مؤسسها، وهي من فرق الخوارج الكبيرة التي ضاهت في قوتها فرق الخوارج الكبار مثل الأزارقة والأباضية. وهي من نتائج عدم الفهم الحقيقي لروح الإسلام والتفسير الخاطئ لتعاليم القرآن الكريم وتأويل آياته. وكان انقسام هذه الفرق الثلاث من الخوارج: (الأزارقة، الأباضية، والصفرية) قد تم بسرعة كبيرة وفي نفس الوقت تقريباً، وبسبب، كتاب ارسله نافع بن الأزرق لمن لم يخرج معه عند خروجه من البصرة، لقتال ولاة بني أمية وقد كانت هذه اللحظة نقطة مفصلية في تاريخ الخوارج، ادى بالنتيجة الى انقسام الخوارج وظهور فرقة الصفرية. وكانت شرارة انشقاق هذه الفرقة وظهورها للعلن في مدينة البصرة ثم نمت ووسعت نشاطها إلى مدن اسلامية اخرى ونسبة لها عدة بدع.

Abstract

There are few studies had studied the origins and roots of the doctrines in Islam therefore our research focused on this point in Alsafriah sect, we have considered the side of the Islamic origins and roots of Alsafriah sect in AL-Shahrastanys Book (The Sects and the Groups) which is one of the big Kharijia sects that have appeared to the public under the rule of the Umayyads in the East and we have tried to show the origins of this sect and its roots and its appears to the public as well as its founders and its characters and all things related to her appearance.

Alsafriah sect appeared historically in the Umayyad period after the split of its founder Ziad Bin Alasfr of the Khawarij, and he and then his followers became a private convictions built by their thought-based atoning each of disagreed with opinion, this sect called alsafrah and Ziyadiah proportion to its founder, and it is One of the bigest Kharijia sects which exceeded its big a sects like Alazarqh and Ibadhi. It is results from the lack of real understanding of the spirit of Islam and the wrong interpretation of the teaching and interpretation of the Koran verses.

the beginning of this sect split and its appearance to the public in the city of Basra and then grown and expanded its activities to other Islamic cities, And the split of these three sects from Khariji: (Alazarqh, Ibadhia, Alsafriah) had been very quickly and the same

time, and because of, a book sent by Nafi bin Alazark those who did not emerge with him as he left from Basra, to fight the rulers of the Umayyad was this moment articulated point in the history of Al- Khaoarij. the basis reason for differing views was not to fight or in the revolt without a direct meeting between the Khariji leaders face to face, debate and attempt to heal the rift, or the convergence of views; so we find very strong reaction to every issue, That led to that every group disbelieve the other Group, and disowned it, and here become a point of no return, the leaders broke away and founded a radical difference in their views.

This disagreement is similar to a very large extent the other reasons that led to the emergence of different sects of Khawarej a doctrinal differences and personal interpretations and the omission of the role of the religious authority of AL Albaat that if It could take their role to save the Muslims from dispersion and loss.

مقدمة

إن العوامل التي تتسبب في ظهور أية ظاهرة فكرية إنما تعود في الغالب إلى جملة أسباب تتداخل مع بعضها وتتعامل ضمن إطار واحد في عملية متفاعلة تكون فيها كل الأسباب قوى مؤثرة في أحداث هذه الظاهرة، لذلك فإن عرض أسباب ظاهرة تكوين الفرق والمذاهب الإسلامية لا يقع متسقاً تماماً، إنما يكون بشكل دائري يصير فيه العامل سبباً لنتيجة ما وتكون هذه النتيجة سبباً لنتائج أخرى، وهكذا تتداخل الأسباب والنتائج في عملية تفاعل مستمرة، ولما كانت هذه الفرق في الغالب قد ظهرت في نطاق الإسلام فأن الإسلام كان محور هذه الفرق، معه تفاعلت ومع مبادئه تناقضت وفي أطاره تحركت.

ولما كانت هذه الظاهرة، ظاهرة فكرية دينية، فإن الإنسان هو السبب الرئيس في تحركها، حيث لتكوينه الفكري والحضاري أثره المباشر في عملية الصراع والتفاعل هذه. وذلك بسبب فقدان الوعي الكافي، وعدم التروي، وقلة التدبر، وعدم التفكير بالعواقب. هذا كله بالإضافة إلى أنه حين تتضارب مصالح الأفراد، وأهواؤهم، فإنه لا بد وأن تحدث الإنقسامات، والتباين فيما بينهم، إن لم ينته ذلك إلى التدابر والتناحر، وإلى التهاتر، والجدال والقتال.

وعندما تظهر فكرة ما في تاريخ المسلمين ففي الغالب لا يمكن تعيين وقتها على وجه الدقة؛ لأنها في الحقيقة ما هي إلا ظاهرة فكرية لدى شخص واحد أو أكثر، ويستثنى من ذلك القليل من الأفكار التي اقترنت بوقائع معينة دونت، فسجل معها هذا الفكر الناشئ، فكان حفظ هذا الظهور نتيجة حفظ هذه الواقعة، كما هو الحال في واقعة ذي الخويصرة مع النبي محمد (ﷺ)، وحادثة الخديعة في الدين، ورفع المصاحف في معركة صفين من قبل عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان.

والخوارج الصفرية احدى تلك النتائج السلبية لعدم اطاعة النصوص القرآنية وأوامر النبي محمد (ﷺ) بوجوب إتباع من جعلهم الله سبحانه وتعالى عصمة للإمة من التشتت والضياع، فظهرت الخوارج وإنشقت على نفسها فرقاً متعددة كانت الصفرية أحدها.

ولبيان أصل نشأة هذه الفرقة وجذورها فقد إخترنا هذا البحث الموسوم بـ (الخوارج الصفرية وأصل نشأتهم في منظور الشهرستاني(ت:548هـ))). وكان كتاب الملل والنحل للشهرستاني منطلقا للبحث لأهمية هذا الكتاب وخطر هذه الفرقة على الإسلام وبيان الأسباب التي أدت إلى ظهورها. واتبعنا طريقة جمع النصوص وتحليلها ومقارنتها للوقوف على الحقائق التاريخية التي أدت إلى ذلك.

وهنا نود أن نشير بأن استعمالنا للنصوص تقديما وتأخيراً لم يكن على أساس قدمها التاريخي بل على أساس خدمتها للبحث والموضوع. وتكمن أهمية البحث بكونه يظهر الأثر الكبير للعقائد المشوهة وابتعاد المسلمين عن تعاليم الإسلام الصحيحة في ظهور الفرق الضالة في الإسلام.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا النبي الأمين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

المبحث الأول: جذور فرقة الصفرية ومؤسسها:

أولاً: جذور فرقة الصفرية

ومن خلال البحث عن أخبار هذه الفرقة ومحاولة تتبع نشأتها وجذورها ومعرفة مؤسسها وأصل تسميتها ومكان قيامها في المصادر والمراجع التي اطلعنا عليها نجد إن هناك اختلافات بهذا الصدد، وسوف نستعرض الآراء التي جاءت في ذلك ثم نحاول ان نبرز الرأي الأقرب إلى الصواب.

ففي أصل فرقة الصفرية وجذورها قال الفيروز آبادي[1]: "الصفرية قوم من الحرورية". وقال البغدادي[2]: "الصفرية من الخوارج هؤلاء أتباع زياد بن الأصفر... فصارت الصفرية على هذا التقدير ثلاث فرق... وكل الصفرية يقولون بموالاة عبد الله بن وهب الراسبي وحرقوص بن زهير وأتباعهما من المحكمة الأولى ويقولون بإمامة أبي بلال مرداس الخارجي بعدهم وبإمامة عمران بن حطان السدوسي بعد أبي بلال".

وقال الجوهري وتابعه البغدادي[3]: "الصفرية، صنف من الخوارج". وذكر الزبيدي:[4] "الصُّفْرِيَّةُ... قَوْمٌ من الحَرُورِيَّةِ، من الخَوَارج". وقال أيضاً[5]: "الزَّيَادِيَّةُ من الخوارِج". وقال ابن منظور:[6] "الصُّفْرِيَّةُ، بالضم: جنس من الخوارج، وقيل: قوم من الحَرُورِيَّة".

وقال السمعاني[7]: "الزيادية... فرقة من الخوارج". وذكر أبن الأثير:[8] "الصفرية: طائفة من الخوارج... ولم يرفع نسب أحدهم إلى جده إلا القليل حتى يعلم إلى من ينسب وقد أهمل النسب إلى القبائل والبطون". وقال الجوهري وتابعه البغدادي[9]: "الصفرية، بالضم صنف من الخوارج".

وذكر الزبيدي الآراء نفسها فقال:[10] "الصُّفْرِيَّةُ، بالضَّمّ ويُكْسَرُ: قَوْمٌ من الحَرُورِيَّةِ، من الخَوَارج". وقال أيضاً[11]:" الزَّيَادِيَّةُ من الخوارِج". وتابعهم حسين الصدر بالقول[12]: "الصفرية... من الخوارج".

في كل النصوص المتقدمة نجد أن هناك إتفاق بن الإخباريين والمؤلفين على أن أصل فرقة الصفرية يرجع إلى فرقة الخوارج وإنها قد إنشقت منها، وبلا شك فإن الجنين سيحمل جينات الوالد وبعض صفات الأم، فتكون الصفرية إمتداد لأفكار الخوارج وآرائها.

ولأن هذه الفرقة ترجع بأصلها إلى فرقة الخوارج الأولى لذا هي تشترك معها في نشأتها وجذورها الأولى، وأما عن ظهورها العلني كفرقة مستقلة فلم نجد الشيء الكثير مما يستدل به على أصل مؤسسها، وتاريخ ظهورها، ومكان تواجد أنصارها وعددهم وغيرها من الأمور. لكن في الأعم الأغلب ان هذه الفرقة كانت من فرق الخوارج الكبيرة بدليل ان إختلافها في الرأي كان مع الفرق الكبيرة من فرق الخوارج مثل: الأزارقة والنجدات والأباضية، وفرقة الصفرية كانت من ضمن الخوارج قبل أن ينقسموا إلى فرق متعددة والراجح أنَّ خلاف هذه الفرقة لم يكن مع فرق صغيرة، ولم تشر المصادر التي كتبت عن الفرق الإسلامية إلى أنَّ الصفرية كانت قد إنشقت من إحدى فرق الخوارج وبهذا فإن جذورها الأولى ترجع إلى البذرة نفسها التي انشقت منها فرق الخوارج الأخرى.

وأشار الشهرستاني إلى أنَّ السبب الرئيس وراء ظهور هذه الفرقة هو عدم توافق الرؤى بين أتباعها وأتباع فرق الخوارج الأخرى وان المسائل الخلافية التي كانت سببا في ظهورها تدور في الأساس حول عدد من المسائل أهمها: تكفير القعدة عن القتال من عدمه، والحدود، وطريقة معاملة أطفال المشركين، وطريقة التعاطي معهم في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، والسؤال عن الكبائر، والفرار من الزحف، وتزويج النساء المسلمات من الكفار، والصدقات، والشرك، والكفر، والإيمان، والبراءة. ووجدنا ان أكثر المسائل الخلافية التي كانت سببا في نشوء فرق الخوارج كان لها صلة بالحرب والقتل والقتال.

وهنا نجد تشابهاً كبيراً قد يصل إلى حد التطابق في الأمور الخلافية التي كانت سببا في نشوء أغلب فرق الخوارج، وهذا يدفعنا إلى السؤال: لماذا كانت هذه المسائل حصراً مثار خلاف وجدل دائم ومستمر بين فرق الخوارج فتؤدي في النهاية إلى تقاطعات كبيرة تنتهي إلى ظهور فرق جديدة وإنشقاق الفرق بعضها عن بعض؟!.

وقد يكون أنسب جواب لذلك هو ان هذه المسائل الخلافية كانت شائعة وظاهرة في تلك الحقبة التاريخية بسبب طبيعة حركة الخوارج العنيفة بالأصل والإرهاصات التي خلفتها على أرض الواقع فنتيجة للتعصب في الرأي، وتكفير المخالفين، والحروب الكثيرة التي خاضتها هذه الفرق جعلت هذه المسائل تتصدر المشهد العام فمثلا: بقاء عدد كثير من النساء عند مخالفيهم بسبب كثرة القتال أو تنقل رجال الخوارج وحركتهم المستمرة فتعددت الآراء حول جواز تزويج المسلمات من الكفار. وكثرة الحروب أدت الى كثرة سبي الأطفال؛ فتعددت الآراء حول طريقة معاملة أطفال المشركين، وان كثرة غنائم الحرب أدت إلى تعدد الآراء حول طريقة توزيع هذه الغنائم وان التعصب في الرأي وردود الأفعال العنيفة أدى إلى الإختلاف في طريقة إقامة الحدود. وان الحروب المستمرة والثارات والضغائن والتقاطعات أدت إلى تكفير الفرق بعضها لبعض وإعلان الفرق براءة بعضها من بعض. ونتيجة لبطش السلطة الأموية ولقسوتها في التعامل مع المعارضين لسياستها كثر الخلاف حول موضوع التقية.

وفي أحد الآراء عن السبب الرئيس الذي أدى إلى ظهور فرقة الصفرية وجذورها الأولى وسبب انشقاقها نتابع رواية أبي مخنف[13] التي نقلها الطبري وأبن الأثير[14] فقال[15]: "حدثني أبو المثنى عن رجل من إخوانه من أهل البصرة أنهم

اجتمعوا فقالت العامة منهم لو خرج منا خارجون في سبيل الله فقد كانت منا فترة منذ خرج أصحابنا فيقوم علماؤنا في الأرض فيكونون مصابيح الناس يدعونهم إلى الدين ويخرج أهل الورع والإجتهاد فيلحقون بالرب فيكونون شهداء مرزوقين عند الله أحياء فإنتدب لها نافع بن الأزرق فأعتقد على ثلاثمائة رجل فخرج. وذلك عند وثوب الناس بعبيد الله بن زياد[16] وكسر الخوارج أبواب السجون وخروجهم منها... فإغتنمت الخوارج إشتغال الناس بعضهم ببعض فتهيأوا واجتمعوا. فلما خرج نافع بن الأزرق تبعوه واصطلح أهل البصرة على عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب يصلى بهم و خرج ابن زياد إلى الشام واصطلحت الأزد وبنو تميم. فتجرد الناس للخوارج فاتبعوهم وأخافوهم حتى خرج من بقى منهم بالبصرة فلحق بابن الأزرق الا قليلا منهم ممن لم يكن أراد الخروج يومه ذلك منهم عبد الله بن صفار وعبد الله بن أباض ورجال معهما على رأيهما ونظر نافع بن الأزرق ورأى إن ولاية من تخلف عنه لا تنبغي وان من تخلف عنه لا نجاة له. ... فقد حَرَّم الله ولايتهم والمقام بين أظهرهم وإجازة شهادتهم واكل ذبائحهم وقبول علم الدين عنهم ومناكحتهم ومواريثهم ... فاستجاب له إلى هذا الرأي جميع أصحابه فكتب من عبيد الله نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن صفار وعبد الله بن أباض ومن قبلهما من الناس سلام على أهل طاعة الله من عباد الله فان من الأمر كيت وكيت فقص هذه القصة ووصف هذه الصفة ثم بعث بالكتاب إليهما فأتيا به فقرأه عبد الله بن صفار فأخذه فوضعه خلفه فلم يقرأ على الناس خشية أن يتفرقوا ويختلفوا فقال له عبد الله بن أباض مالك لله أبوك أي شيء أصبت ان قد أصيب إخواننا أو أسر بعضهم فدفع الكتاب إليه فقرأه فقال قاتله الله أي رأي رأى صدق نافع بن الأزرق لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير به وكانت سيرته كسيرة النبي ﷺ في المشركين ولكنه قد كذب وكذبنا فيما يقول إن القوم كفار بالنعم والأحكام وهم برآء من الشرك ولا يحل لنا إلّا دماؤهم وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام فقال ابن صفار برئ الله منك فقد قصرت وبرئ الله من ابن الأزرق فقد غلا برئ الله منكما جميعا وقال الآخر فبرئ الله منك ومنه وتفرق القوم".

هنا أشار أبو مخنف في نصه هذا إلى ان جذور هذه الفرقة وبداية تبلو أفكارها كان في مدينة البصرة وفي أيام ولاية عبيد الله بن زياد وقبل ذلك كانت مع الخوارج يدا واحدة وان سبب انشقاقها عن فرقة الخوارج الأم وظهورها مستقلة بذاتها يرجع الى الاختلافات الفكرية بين نافع بن الازرق وعبد الله بن الصفار وعبد الله بن اباض. وهذا هو السبب الاكثر اثرا وشيوعا في ظهور فرق الخوارج، اذ يغلب على الخوارج التعصب الشديد للراي وعدم القدرة على فهم الاخر والتحاور معه بصورة عقلانية بعيدة عن التشدد مما يؤدي في الغالب الى تكفير الطرف الاخر والبراءة منه.

وفي ذلك نجد أن امتداد فرقة الصفرية يرجع الى أول ظهور علني لفرقة الخوارج في معركة صفين، وان أتباعها هم إما من الحرورية، أو ممن تأثر بآرائهم وسار على نهجهم، وان انقسام هذه الفرق الثلاث من الخوارج: (إلى الأزارقة، الأباضية، والصفرية) قد تم بسرعة كبيرة وبسبب، كتاب أرسله نافع بن الأزرق لمن لم يخرج معه عند خروجه من البصرة، وقد كانت لحظة قراءة الكتاب نقطة مفصلية في تاريخ الخوارج، وكان السبب الأساس لاختلاف وجهات النظر هو في القعود عن القتال أو في الخروج والحكم من دون عقد لقاء مباشر بين زعماء الخوارج وجها لوجه والنقاش والتحاور ومحاولة رأب الصدع، أو تقريب وجهات النظر؛ لذا نجد ردود فعل قوية جدا على كل مسألة تطرح فأدت الى أن يكفر كل فريق الفريق الآخر، ويتبرأ منه وهنا اصبحت نقطة أللا عودة، فأنشق القادة واسسوا فرقاً متشددة في آرائها. وهذا الخلاف يشبه إلى حد كبير الأسباب الأخرى التي أدت إلى ظهور فرق الخوارج المختلفة وهي الاختلافات الفقهية والاجتهادات الشخصية وإغفال دور المرجعية الدينية المتمثلة بأهل البيت (عليهم السلام) التي لو تمكنت من أخذ دورها في حفظ المسلمين من التشتت والضياع.

والظاهر من النصوص ان نواة تشكيل الصفرية كفرقة مستقلة بذاتها كان في مدينة البصرة، وفي العصر الأموي زمن ولاية عبيد الله بن زياد وأشار أبو مخنف، والطبري، وابن الأثير، على نحو ما بينا سابقاً إلى أنَّ سنة (65هـ) بالتحديد كانت زمن الظهور العلني لفرقة الصفرية.

ورأى الكاتب عبد الله بدوي ان هناك أسباباً أخرى قد ساعدت على انشقاق فرقة الصفرية وظهورها كفرقة مستقلة بذاتها عن فرق الخوارج، ومن هذه الأسباب الخلاف السياسي بين الخوارج وعبد الله بن الزبير بعد وفاة الخليفة الأموي يزيد الأول، ثم اضطراب الأوضاع في البصرة ونزاع القبائل فيما بينها بعد هرب عبيد الله بن زياد منها، ثم الخلاف بين قادة الخوارج أنفسهم في القعود عن القتال من عدمه فقال في ذلك[17]: "إن عبيد الله بن زياد استطاع أن يوفر لأهل البصرة الأمن. وهربا من اشتداد عبيد الله توجه الخوارج بعد قتل أبي بلال من البصرة إلى مكة وساعدوا عبد الله بن الزبير ضد أهل الشام فلما مات يزيد الأول وارتحل أهل الشام، ظهر الخلاف بين موقف الخوارج السياسي وبين موقف ابن الزبير فارتحلوا عن مكة. فذهب أبو طالوت وأبو فديك وابن الأسود، وهم من آل بكر إلى اليمامة، فاستولوا عليها، وذهب نافع بن الأزرق وعبد الله بن الصفار وعبد الله بن أباض وحنظلة بن بيهس- وهم من بني تميم- وعبد الله وعبيد الله والزبير أبناء الماحور ذهبوا إلى البصرة. وهيأ هرب عبيد الله بن زياد وتنازع القبائل في البصرة الفرصة لكي يتنفس الخوارج فكسروا أبواب السجون وخرجوا منها. وتولى نافع بن الأزرق قيادة ثلاثمائة رجل وخرج يريد الأهواز. فلما اصطلح أهل البصرة على إمارة ببة. وهو لقب عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث... اجتمعوا ضد الخوارج الباقين

في البصرة واضطروهم إلى الفرار واللحاق بنافع بن الأزرق إلا قليلا منهم ممن لم يكن أراد الخروج في يومه ذلك : منهم عبد الله بن صفار وعبد الله بن أباض ورجال معهما على رأيهما. وكان خلافهما مع ابن الأزرق يقوم على أساس أن هذا الأخير يرى أن الله حرم على المسلم الصحيح الإيمان المقام بين أظهر المشركين، بل عليه مفارقتهم نهائيا. على أن ابن صفار وابن أباض قد اختلفا هما أيضا فيما بينهما".

ومن ذلك نجد أن فرق الخوارج قد مرت بأطوار متعددة حتى وصلت الى مرحلة التشظي الشديد وظهور فرقة الصفرية وغيرها وحتى أنَّ رجال فرق الخوارج كانوا اجيالاً متعددةً ولكن تجمعهم عوامل مشتركة.

ثانيا: مؤسس فرقة الصفرية وإشتقاق اسمها:

فيما يخص أصل مؤسس فرقة الصفرية فلم نعثر على معلومات شافية عنه، أو عن قبيلته ونسبه، أو عائلته، أو إسلامه، أو ما يشير إلى شخصيته، أو المنطقة التي كان يسكن فيها قبل البصرة سوى ما ذكره البكري في ترجمة منطقة خضرمة، فقال[18]: "خضرمة: قرية باليمامة، ومنها كان عبد الله بن صفار الخارجي".

وقال السمعاني[19]: "الزيادية... فرقة من الخوارج انتسبوا إلى أصحاب زياد بن الأصفر". ونقل أبن الأثير أصل تسمية الصفرية والزيادية فقال:[20] "الصفرية... الزيادية من الخوارج ففرقة نسبوا إلى زياد بن الأصفر... ولم يرفع نسب أحدهم إلى جده إلا القليل حتى يعلم إلى من ينسب وقد أهمل النسب إلى القبائل والبطون".قال الشهرستاني[21]: "الصُّفريّة الزَّيَاديّة أصحاب زياد بن الأصفر".

وقال البلاذري[22]: عبد الله بن صفّار الذي نسبت إليه الصفرية. وقال السمعاني[23]: "الزيادية... انتسبوا إلى أصحاب زياد بن الأصفر". وفي أصل اسم الصفرية ذكر السمعاني:[24] الصفرية نسبة الى عبد الله بن صفار.

وقال ابن منظور:[25] "سموا صُفْرِيَّةً لأَنهم نسبوا إِلى صُفْرَةِ أَلوانهم، وقيل: إِلى عبد الله بن صَفَّارٍ؛ فهو على هذا القول الأَخير من النسب النادر، وفي الصحاح: صِنْفٌ من الخوارج نسبوا إِلى زياد بن الأَصْفَرِ رئيسهم، وزعم قوم أَن الذي نسبوا إِليه هو عبد الله ابن الصَّفَّار وأَنهم الصِّفْرِيَّة، بكسر الصاد؛ وقال الأَصمعي: الصواب الصِّفْرِيَّة، بالكسر، قال: وخاصم رجُل منهم صاحبَه في السجن فقال له: أَنت والله صِفْرٌ من الدِّينِ، فسموا الصِّفْرِيَّة، فهم المَهَالِبَةُ. نسبوا إِلى أَبي صُفْرَةَ، وهو أَبو المُهَلَّبِ وأَبو صُفْرَةَ كُنْيَتُه".

وذكر الجوهري وتابعه البغدادي[26]: "الصفرية... نسبوا إلى زياد بن الأصفر رئيسهم. وزعم قوم أن الذي نسبوا إليه هو عبد الله بن الصفار، وأنهم الصفرية". ونقل الفيروز آبادي[27]: "الصفرية نسبوا إلى عبد الله بن صفار، ككتان، أو إلى زياد بن الأصفر، أو إلى صفرة ألوانهم، أو لخلوهم من الدين".

وذكر الزبيدي الآراء نفسها فقال:[28] "الصُّفْرِيَّةُ... نُسِبُوا إِلى عَبدِ اللهِ بنِ صَفَّارٍ، ككَتَّانٍ، وعلى هذا القَوْل يكون من النَّسَبِ النَّادِر. أو إِلى زِيادِ بنِ الأَصْفَرِ رَئيسهم، قاله الجَوْهَرِيّ. أَو إِلى صُفْرَةِ أَلْوَانِهِم، أو لخُلُوّهِمْ من الدِّينِ، وقال: خاصَمَ رَجلٌ منهم صاحِبهَ في السِّجنِ، فقال له: أَنْتَ والله صِفْرٌ من الدِّينِ. فسُمُّوا الصِّفْرِيَة". وقال أيضاً[29]: "نُسِبوا إِلى زِيادِ بن الأَصفَر، ويقال لهم: الصُّفْرِيّة أيضاً". وقال الجرجاني[30]:"الأصفرية أصحاب زياد بن الأصفر"

وذكر ابن عبد البر[31] وتابعه الوائلي[32]: "الصفرية اتباع النعمان زياد بن الاصفر" وذكر الصفدي[33]: "زياد بن الأصفر رأس الصفرية ". وقال الزركلي:[34] عبد الله بن صفار الصريمي التميمي توفي نحو (60هـ) وهو رئيس الصفرية، من الخوارج. نسبوا إليه فيما يقال على غير قياس، وفي صحة رئاسته لهم خلاف طويل. وقال صاحب كتاب المواقف[35]: "الأصفرية أصحاب زياد بن الأصفر". وتابعه **حسين** الصدر فقال[36]: الصفرية: أصحاب زياد بن الأصفر". وذكر الآملي[37]: "الصفريّة أصحاب زياد بن الأصفر". وفي أصل تسمية الزيادية قال السيوطي[38]:"الزيادية من الخوارج إلى زياد بن الأصفر".

ومن هذه الأقوال والنصوص السابقة نجد أن هناك عدداً من الآراء في أصل تسميتها ومؤسسها وعلى النحو الآتي.

الرأي الأول: أنَّ اسم الفرقة هو الصفرية واشتق اسمها من مؤسس فكرتها، أو بدعتها التي خالفت بها فرق الخوارج الأخرى، وهو عبد الله بن صفار، وذهب إلى هذا الراي البلاذري، والجوهري، والبغدادي، والسمعاني، والشهرستاني، وابن الأثير، وابن منظور، والصفدي، والآملي، والفيروز آبادي والزبيدي، وحسين الشاكري، وحسين الصدر، وهاشم البحراني، وذكر بعضهم اسم الصفرية من دون ذكر اسم مؤسسها منهم: القلقشندي، والشيخ الأميني، وهاشم معروف الحسني. وذكر ابن عبد البر والوائلي إن مؤسس هذه الفرقة هو النعمان زياد بن الاصفر. وذكر الزركلي أن رأس فرقة الصفرية هو عبد الله بن صفار الصيرمي.

والرأي الثاني: أنَّ اصل اسم الزيادية يرجع الى اسم مؤسسها زياد بن الاصفر، وذهب إلى هذا الرأي: السمعاني، وابن الأثير، وابن منظور، والجوهري، والبغدادي، والفيروز آبادي، والزبيدي، والصفدي، والسيوطي، والصدر. وهذا الرأي مقبول ولكن اسم الصفرية هو الأكثر شيوعاً.

أمَّا الرأي الثالث: فيرى أن هذه الفرقة سميت الأصفرية نسبة الى زياد بن الأصفر وذهب إلى هذا الرأي الايجي، صاحب المواقف، والجرجاني في شرح المواقف. ولا نؤيده لانه لم يذهب إليه أحد سوى اثنين من الكتاب المحدثين.

وأمَّا الرأي الرابع: فيرى أن هذه الفرقة سميت الصفرية نسبة إلى صُفرة ألوانهم، ونقل هذا الرأي ابن منظور، والفيروز آبادي، والزبيدي. ونعتقد أن هذا الرأي بعيد عن الواقع إذ كيف يمكن أن نميز نوعاً من البشر بصفرة ألوانهم ثم انضموا تحت راية واحدة لدرجة أن صُفرة اللون صارت غالبة عليهم حتى طغت على اسم هذه الفرقة. فما العامل المشترك الذي جعل صفر البشرة يجتمعون تحت هذه الفرقة بالذات؟ الواقع والعقل يقول: إن هذا شيء ضعيف جدا؛ لذا نستبعد هذا الرأي.

وأمَّا الراي الخامس: فيرى ان اسم هذه الفرقة جاء نتيجةً إلى اتهامهم بخلوهم من الدين أو صفر يديهم من الدين، وذهب إلى هذا الرأي ابن منظور، والفيروز آبادي، والزبيدي. وهذا الرأي وحسب رؤيتنا القاصرة ضعيف أيضاً؛ لأن مثل هذه التسميات تطلق من أجل التشهير والتسقيط للخصوم، وان لقب مؤسسها الصفار فلا يتعدى كونه اجتهادات شخصية من الكتاب.

وأمَّا الراي السادس: فيرى أن هذه الفرقة هم أنفسهم المَهَالِبَةُ. نسبوا إلى أَبي صُفْرَةَ، وهو أَبو المُهَلَّبِ وأَبو صُفْرَةَ كُنْيَتُه، ونقل أبن منظور هذا الراي. وهذا الرأي ضعيف إذ لم يذكره سوى ابن منظور وحده.

ونحن نميل إلى تأييد الرأي الأول؛ لإتفاق أكثر ممن جاء على ذكر هذه الفرقة عليه، ولأن أغلب الفرق أشتقت اسمائها من اسم من قيل انهم مؤسسيها.

ونستدل من النصوص بأن مؤسس هذه الفرقة رجل من قيادات الخوارج اسمه زياد بن الأصفر، وأن اسم الفرقة اشتق من اسمه فأخذت اسم الصفرية والزيادية.

المبحث الثاني: البدع المنسوبة إلى فرقة الصفرية:

من الشائع في ذلك الزمان أي بعد ظهور فرقة الخوارج للعلن وتبنيها مجموعة من البدع والأفكار أن تتبنى كل فرقة مجموعة من الأفكار والبدع القائمة على شبهات أو تُنسب إليها فتميزها عن غيرها من الفرق فتصبح بعد ذلك بدعة ضلالة وهذا ما حدث مع فرقة الصفرية إذ نسب إليها مجموعة من البدع والشبهات. ومن ذلك ما ذكره الشهرستاني بالقول[39]: "الصُّفريّة... خالفوا الأزارقة، والنجدات، والأباضية في أمور منها: أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال، إذا كانوا موافقين في الدين والإعتقاد، ولم يسقطوا الرجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار. وقالوا التقية جائزة في القول دون العمل. وقالوا: ما كان من الأعمال عليه حد واقع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنا، والسرقة، والقذف، فيسمى زانيا، سارقاً، قاذفاً، لا كافراً مشركاً. وما كان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة، والفرار من الزحف فانه يكفر بذلك.... وجوزوا تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية دون دار العلانية. ورأى زياد بن الأصفر جميع الصدقات سهماً واحداً في حال التقية، ويحكى عنه أنه قال: نحن مؤمنون عند أنفسنا، ولا ندري لعلنا خرجنا من الإيمان عند الله. وقال الشرك شركان، شرك طاعة الشيطان، وشرك هو عبادة الأوثان. والكفر كفران، كفر بإنكار النعمة، وكفر بإنكار الربوبية، والبراءة براءتان، براءة من أهل الحدود، سُنَّة؛ وبراءة من اهل الجحود فريضة".

وذكر الصفدي بأن اتباع فرقة الصفرية قد عمدوا إلى تكفير الصحابة فقال[40]: "الصفرية ويقال لهم الزيادية كمذهب الأزارقة في تكفير الصحابة". وقال البغدادي[41]: " قولهم في الجملة كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم".

وقال صاحب كتاب المواقف[42]: "الأصفرية... يخالفون الأزارقة في تكفير القعدة وفي إسقاط الرجم وفي أطفال الكفار، ومنع التقية في القول، وقالوا المعصية الموجبة للحد لا يسمى صاحبها إلا بها وما لا حد فيه لعظمه كترك الصلاة والصوم كفر، وقيل تزوج المؤمنة من الكافر في دار التقية دون العلانية". وذكر الآملي[43]: "الصفريّة أصحاب زياد بن الأصفر، خالف الأزارقة والنجدات والعجاردة في مسائل وتولّى الأباضية". وقال العاملي[44]: "إن الخوارج الأولين كانوا يحرمون التقية، ولا يجيزونها في قول، أو عمل. فإن أتباع زياد بن الأصفر قد جوزوها في القول دون العمل".

وقال الجرجاني[45]: "الأصفرية... يخالفون الأزارقة في تكفير القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين لهم في الدين وفي إسقاط الرجم فإنهم لم يسقطوه، وفي أطفال الكفار أي لم يكفروا أطفالهم، ولم يقولوا بتخليدهم في النار، ومنع التقية في القول أي: جوزوا التقية في القول دون العمل، وقالوا المعصية الموجبة للحد لا يسمى صاحبها إلا بها، فيقال مثلا سارق، أو زان، أو قاذف، ولا يقال كافر، وما لأحد فيه العظمة كترك الصلاة والصوم كفر فيقال لصاحبه كافر وقيل تزوج المؤمنة أي: المعتقدة لما هو دينهم من الكافر المخالف لهم في دار التقية دون دار العلانية)).

ونقل الصفدي هذه الإختلافات، فقال[46]: "زياد بن الأصفر رأس الصفرية ويقال لهم الزيادية كمذهب الأزارقة في تكفير الصحابة وخالفوهم في تكفير القعدة عن القتال ولم يسقطوا رجم الزاني المحصن وجوزوا التقية والعمل وكفروا تارك الصلاة دون الزاني والسارق والقاذف وكان رأس القعدة من الصفرية عمران بن حطان".

وقال حسين الصدر[47]: الصفرية... فرقتان من الخوارج وهم من أهل المذاهب المنكرة، يكفرون عليا (عليه السلام)، وعثمان وطلحة، والزبير، ومعاوية، ومالك الأشتر (0)، وعائشة، وعمرو بن العاص.

الخاتمة

ظهرت فرقة الصفرية تأريخياً في العصر الاموي وفي زمن معاوية بن أبي سفيان بعد ان انشق مؤسسها زياد بن الأصفر من فرقة الخوارج، واختلف في الرؤى مع نافع بن الازرق وعبد الله بن اباض وأصبح له ثم لاتباعه قناعات خاصة بنوا عليها فكرهم القائم على تكفير كل من يخالفهم الرأي، وسميت هذه الفرقة بالصفرية والزيادية نسبة إلى مؤسسها، وهي من فرق الخوارج الكبيرة التي ضاهت في قوتها فرق الخوارج الكبار مثل الأزارقة والاباضية.

وفرقة الصفرية من نتائج عدم الفهم الحقيقي لروح الاسلام والتفسير الخاطئ لتعاليم القرآن الكريم وتأويل آياته. وكانت شرارة انشقاق هذه الفرقة وظهورها للعلن في مدينة البصرة ثم نمت ووسعت نشاطها إلى مدن اسلامية أخرى. وان انقسام هذه الفرق الثلاث من الخوارج: (الأزارقة، الأباضية، والصفرية) قد تم بسرعة كبيرة وفي نفس الوقت تقريباً، وبسبب، كتاب أرسله نافع بن الأزرق لمن لم يخرج معه عند خروجه من البصرة، لقتال ولاة بني أمية وقد كانت هذه اللحظة نقطة مفصلية في تاريخ الخوارج، وكان السبب الأساس لاختلاف وجهات النظر هو في حكم أطفال الكفار وفي إسقاط الرجم عنهم، وفي التقية وتكفير القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين لهم في الدين، وبسبب تعصب الخوارج عامة انشقت هذه الفرقة من دون عقد لقاء مباشر بين زعماء الخوارج وجها لوجه والنقاش والتحاور ومحاولة رأب الصدع، أو تقريب وجهات النظر؛ لذا نجد ردود فعل قوية جدا على كل مسألة تطرح فأدت الى أن يكفر كل فريق الفريق الآخر، ويتبرأ منه وهنا اصبحت نقطة أللا عودة، فأنشق القادة واسسوا فرقاً متشددة في آرائها.

وتعد فرقة الصفرية من الفرق التي تركت اثرا كبيرا على مستقبل الأمة الإسلامية دينيا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وجميع اثارها كانت سلبية بسبب تبني اتباع هذه الفرقة نهجاً دمويا متعصباً ورؤى مشوهة على مر تاريخها ورفضها التعايش السلمي مع من يخالفها الرأي من أصحاب الفرق والمذاهب الأخرى، واتخذاها موقف العداء السافر من غالبية المسلمين.

الهوامش:

(1) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، 71/2.
(2) الفرق بين الفرق، ص94-95.
(3) الصحاح، /715؛ خزانة الأدب، 351/5.
(4) تاج العروس، 99/7.
(5) الزبيدي، تاج العروس، 487/4.
(6) أبن منظور، لسان العرب، 464/4.
(7) السمعاني، الأنساب، 186/3.
(8) اللباب في تهذيب الأنساب، 244/2،85.
(9) الصحاح، /715؛ خزانة الأدب، 351/5.
(10) تاج العروس، 99/7.
(11) الزبيدي، تاج العروس، 487/4.
(12) نهاية الدراية، ص105.
(13) مقتل الحسين (عليه السلام)، ص256-266.
(14) الكامل في التاريخ، 167/4.
(15) أبو مخنف، مقتل الحسين، 265-268.
(16) قتل عبيد الله بن زياد وهو قاتل الإمام الحسين (عليه السلام) في الكوفة ومن تولى قتل عبيد الله بن زياد المختار الثقفي في ثورته للطلب بثأر الإمام الحسين (عليه السلام) وكان ذلك سنة (67هـ). للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن النما، ذوب النضار، ص143-144؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 446/18؛ ابن عبد البر، الإستيعاب، 397/1؛ التبريزي، الإكمال في اسماء الرجال، ص45؛ ابن حجر العسقلاني، تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، ص20. وكان يزيد بن معاوية قد ولى عبيد الله بن زياد على البصرة سنة (55هـ) . ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 55/5.
(17) عبد الرحمن البدوي، الخوارج والشيعة، ص56.
(18) البكري، معجم ما استعجم، 501/2.
(19) السمعاني، الأنساب، 186/3.
(20) اللباب في تهذيب الأنساب، 244/2،85.
(21) الشهرستاني، الملل والنحل، ص110.
(22) البلاذري، أنساب الأشراف، 351/12.

(23) السمعاني، الأنساب، 186/3.
(24) الأنساب، 548/3.
(25) ابن منظور، لسان العرب، 464/4.
(26) الصحاح، /715؛ خزانة الأدب، 351/5.
(27) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، 71/2.
(28) تاج العروس، 99/7.
(29) الزبيدي، تاج العروس، 487/4.
(30) الجرجاني، شرح المواقف، 394/8.
(31) الإستذكار، 498/2.
(32) هوية التشيع، ص189.
(33) الصفدي، الوافي بالوفيات، 5/15.
(34) الزركلي، الأعلام، 93/4.
(35) الايجي، 693/3.
(36) نهاية الدراية، ص105.
(37) تفسير المحيط الأعظم، 334/4.
(38) السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، ص129.
(39) الشهرستاني، الملل والنحل، ص110.
(40) الصفدي، الوافي بالوفيات، 5/15.
(41) الفرق بين الفرق، ص94-95.
(42) الايجي، 693/3.
(43) تفسير المحيط الأعظم، 334/4.
(44) مرتضى، علي والخوارج، 217/2.
(45) شرح المواقف، 394/8.
(46) الصفدي، الوافي بالوفيات، 5/15.
(47) نهاية الدراية، ص105.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا- المصادر الأولية:

- الآملي، حيدر، (ت: 782هـ).
1. تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، ط2، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه السيد محسن الموسوي التبريزي، مطبعة الأسوة، (قم المقدسة- 2008م).
- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الجزري، (ت: 630هـ).
2. الكامل في التاريخ، دار صادر،(بيروت- 1966م).
- الأيجي، محمود بن أحمد، (ت:756هـ).
3. المواقف، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، (بيروت- 1997م).
- البغدادي عبد القاهر بن طاهر بن محمد، (ت:429 هـ).
4. الفَرق بين الفِرق، اعتنى بها وعلق عليها إبراهيم رمضان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت- 1994م).
- البكري، أبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، (ت: 487هـ).
5. معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، حققه وضبطه مصطفى السقا، عالم الكتب، (بيروت- 1983م).
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر ، (ت: 279هـ).
6. انساب الأشراف، حققه وعلق عليه الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت-1974م).
- الجرجاني، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت:816هـ).
7. شرح المواقف، تحقيق السيد علي بن محمد مطبعة السعادة، (القاهرة- د.ت).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت:393هـ).
8. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، (بيروت- 1987م).
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد شهاب الدين أبي الفضل (ت: 852هـ).

9. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت –د.ت).
- الزبيدي، محب الدين ابي الفيض محمد مرتضى الحسيني، (ت:1205هـ).
10. تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، (بيروت- د.ت).
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، (ت:489هـ).
11. الانساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، (1988م).
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن احمد، (ت:548هـ).
12. الملل والنحل اشرف على تعديله وقدم له صدقي جميل العطار، دار الفكر، (بيروت-2005م).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، (ت:911هـ).
13. لب اللباب في تحرير الانساب، دار صادر، (بيروت- د.ت).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، (ت:764هـ).
14. الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، (بيروت- 200م).
- ابن عبد البر، (ت:463هـ).
15. الاستذكار، تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، (بيروت-200م).
- الفيروزآبادي، (ت: 817هـ)،
16. القاموس المحيط، دار الفكر، (بيروت- د.ت).
- ابو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي، (ت:157هـ).
17. مقتل الحسين(عليه السلام)، تحقيق حسين الغفاري، المطبعة العلمية، (قم المقدسة- د.ت).
- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، (ت:711هـ).
18. لسان العرب، نشر أدب الحوزة، (قم المقدسة- 1984م).
- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، (ت:207هـ).
19. المغازي، تحقيق الدكتور مارسدن جونس، نشر دانش اسلامي، (د.مك-1984م).

ثانيا- المراجع الثانوية:

- حسن الصدر.
20. نهاية الدراية، د.مط ، (النجف الاشرف- د.ت).
- الزركلي، خير الدين.
21. الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين،ط16، مطبعة دار العلم للملايين، (بيروت-2005م).
- عبد الرحمن البدوي،.
22. الخوارج والشيعة، ط، دار الجيل للكتب والنشر، (القاهرة- 1998م).
– مرتضى العاملي، جعفر الحسيني.
23. الحياة السياسية للإمام الرضا (عليه السلام)، ط2، مطبعة ستارة، (قم المقدسة- د.ت).
– الوائلي، احمد.
24. هوية التشيع، دار الصفوة، (بيروت- 1994م).